بذلك من آلام الحياة ومألوف الوحشية : وعاشت عيشة العظمة والفضيلة ، تفتخر بسحب ذيول الطهر والعفاف في حب ذلك الانسان الذي قصر حياته على حبها وتعيش هي لتعمل لمرضاته ، فكانت بما كسبت من محامد الخلال ، ومكارم الخصال اهلاً ان تعلق بها الآمال ، وتقلد اعظم الاعمال . والاميرة ذات شغف بطاعة قرينها فهي لا تأبى عليه رأيا ولا تصدف له عن طلب : والامير زوجها عالم خبير تستمد بفكره في ذلك العمل العظيم الذي ابرزته من حيز العدم وقطع بعنايتها في طريق الحياة شوطاً بعيداً »

والحق الذي لا ريب فيه ان الاميرة لم تترك للمجد سبيلاً الا صرفت فيه ذلك العقل الواسع الذي يحويه رأسها . فهي لم تخدم به امم المدنية فقط ولكنها قدرت مع ذلك ان تبرهن ان المرأة لا يبعد على استعدادها ان تقف المواقف العظمى وتدرك الآمال العالية فقد رأست هذه الاميرة من الجمعيات الكبرى في عالم التمدن ما لم ينله غيرها . ولم يحلم به سواها . اه

محمد عبيد

بدايرة منشاوي باشا

الحب والولاء

بقلم حضرة الاديب فليكس افندي فارس

وكانت نغمات النفير تدوي على تلة لانج تسون والكتيبة الصينية واقفة هنالك تحركها عواطف التعصب كبحر لاطمت امواجه الزوابع الثائرة

وكان على مقربة من ذلك الجمع المتوحش جمهور من العساكر الافرنسية يسير على مهل تتقدمه طلائع ضباطه للنظر في كيفية اصلاء الحرب وتدبير المعركة

وما تبادل القواد آراءهم بشأن الهجوم حتى انضم الجند ووقفوا منتظرين امر الاندفاع بسكون يعلن الشجاعة والاقدام على ضحيةٍ اساسها البسالة ومبداؤها الواجب

واعطيت علامة السير فلمعت حراب البنادق تحت اشعة الشمس المحرقة ومشت العساكر تتخطى اراضي حمتها الهمجية وساد على سكانها التعصب الفظيع

وما لبث حتى بان من وراء الاكمة جندي افرنسي كان ينهب الارض بسيره راكضاً نحو اخوته لينضم تحت لوائهم فدخل الصف الاول رافعاً بندقيته على كاهله ونفسهُ يتقطع تعباً وادار لحاظه نحو رفيق له كان سائراً الى الموت لا يلوي على شيء فقال له بصوت يجعله خرتمان فؤاده متهدجاً

— لقد وصل البريد من فرنسا وبه رسالة لك

فاختلج قلب الجندي فرحاً وقال

— رسالة لي ... واين هي يا بولانجه ؟

— هي بيد الساعي الذي وصل الان للخيام

فرفع الجندي جوليو طرفه نحو ضابط الفرقة كأنه يستميح منه نعمةً وكان هذا قد سمع ما دار من الحديث بين الرفيقين فقال :

— اذهب واحضر الرسالة

وتمتم على مهل — مسكين جوليو . اذهب واحضر رسالتك حتى اذا حطم رأسك رصاص الصينيين تكون قد عرفت شيئاً عن اقاربك على الاقل قبل مماتك

فانزل جوليو بندقيته عن كتفه وقال لرفيقه

— احفظ سلاحي يا بولانجه الى ان اعود

وحول وجهه الى جهة الخيام من وراء الاكمة وسار كالبرق لا يفكر بشيء الا بالرسالة

* * *

وكان جوليو وبولانجه قديمي وداد تربطهما عروة صداقة اخوية منذ امد مديد بدايته اول ملتقى جمعهما الاتفاق في احدى حانات برستا وكلاهما متجندٌ لخدمة الوطن . وكان جوليو قروبا من نورمنديا اشقر اللون طويل القامة رقيق الجانب يكاد تساهله ان يتخطى حدود الضعف

اما بولانجه فكان باريسياً اسمر اللون خفيف الحركة عاقلاً شجاعاً فلم يتفق مع جوليو لاول وهلة بل شعر منه بنفور قاده الى الاستهزاء برفيقه الضعيف . وما اتحد الميال الى السرور مع من جعله الدهر حزيناً

وعند اول ملتقى الصديقين في حانة برستا كان جمع غفير من قدماء الجند جالسين على الخوان ومعهم بولانجه يشربون على تذكار حملاتهم القديمة واصدقائهم ووطنهم وهم يقهقهون ضحكاً بين كان جوليو مستلقياً على فراشه مسنداً رأسه بيديه غارقاً في لجج الافكار

فحسب بولانجه ان جوليو مستخف بهم او انه يضن ببضع دريهمات يبتاع بها مشروباتٍ لجمع الخلان فتقدم اليه بحدةٍ وقال

— قم لا بارك الله فيك يا ساقط الهمة

— دعني يا رفيقي فلست على شيء مما تقول ولكن هي الاشجان تدفع الانسان الى ما لا يحب

— ان هذا العلة مضحكة يحتج بها البخلاء امثالك . قال هذا وانقض على جوليو الراقد بهدوء فامسك برجله وسحبه على بلاط الحانة فتمسك هذا بفراشه فجره وراءه . واحتاط جوليو رهط العساكر للسخرية به فكانت اذ ذاك من بولانجه التفاتة نحو اخشاب السرير الذي كان جوليو راقداً عليه فشاهد صحيفة من (الكرتون) ملقاة لجهة الوسادة فهرع اليها وامسكها كمن فاز بغنيمة وعاد راكضاً نحو النورمندي قائلاً

— أهذه هي صورة معشوقتك يا جوليو ! أهذه مسببة اشجانك يا مسكين ؟

ووضع الصورة امام عيني جوليو فانتفض هذا مذعوراً وقد اصفرت ملامحه واختلجت اعصابه بشدة فهجم على بولانجه ورفعه عن الارض بيد واحدة ونزع بيده الاخرى الصورة عن كف خصمه واذ شاهد القوم غلبة النورمندي انقضوا عليه جميعهم فثارت به الحمية واخذ يضرب ذات اليمين

وذات الشمال بقوة غريبة حتى عيل صبر الباريسي من وقاحته فاخذ خشبة وضرب بها وجهه فسال الدم عليه ساتراً عينيه ليمنع عنهما النور فسقط على الارض لا يعي

وارتعب بولانجه اذ شاهد رفيقه ساقطاً والدم يصبغ اثوابه واختشى ان تكون سخريته جرت الموت على من لا يود له ضرراً فصاح وقد رمى الخشبة بشدة

— اواه هل مات المسكين ؟

وهرع لمساعدة الجريح بقدر اهتمامه للغلبة عليه اولاً فرتب فراشه ورفعه بين ذراعيه اليه حيث ارقده وهو واجف يحنو عليه حنو الام

وما لبث حتى عاد جوليو الى رشده فالتفت بخصمه وقال

— لقد المتني جداً ايها الباريسي مع انني ما اتيتك بضر

ومد يده تحت وسادته كأنه يفتش على شيء . فقال بولانجه — انك تفتش على الصورة فهذه هي خذها

وقدم له صورة الحبيبة وقد لطختها نقطة من دم عاشقها الجريح . فانارت وجه جوليو ابتسامة محزنة وقال

— اعطني اياها لانني اتمسك بها اكثر من حياتي فهي تمثل امامي خيال خطيبتي البعيدة عني

— خذها ونم بسلام ايها الرفيق واغفر لي ما جنيت

وبعد مدة ساد الوسن على جميع العسكر فما بقي ساهراً سوى بولانجه قرب سرير جوليو ينظر اليه بمرارة الندم وحنو الحب الصادق

ومن ذلك الحين اتحد الباريسي والنورمندي بوداد متين العرى فانشق

بينهما حجاب التكلف واخذ جوليو يقص على رفيقه حوادث حياته وهيامه بمادلين تلك الفتاة الجميلة ابنة احد الوجهاء في بلاده . فتاة تعشقته وسلمته فؤادها على امل الاقتران به رغماً عن كونه ابن بناء فقير ورغماً عن محاولة احد تجار الابقار من اقاربها ان يتخذها له حليلة

وكان بولانجه يسمع حديث صديقه ويشاركه بشعائره ولكثرة ماسمع عن بلاد نورمنديا وموقعها وعن قرية جوليو ومسكن مادلين اصبح يعرف تلك الجهات كأنه احد سكانها فكان يتبع اقاصيص صديقه بمخيلته وتتمثل لديه عشيقة صديقه متمسكة بالوداد تحارب اميال اهلها لتزويجها بغير من تهوى فيشعر كجوليو بحاسة الانتقام من خصمه بالغرام

ومضى على الصديقين سنة ونصف قضياها في برستا حتى صدرت اوامر المجلس الحربي بتسيير حملة الى توكان في الصين فساد على جوليو حزن قتال لاضطراره الى مبارحة برستا لانه وان كان هنالك بعيداً عن نورمنديا كان يشعر بوجوده والحبيبة في قارة واحدة فيستقبل النسيم كل صباح كأنه يهب من بلاده حاملاً اليه عبير ازهارها وسلام مادلين التي ضم بها شوارد آماله اما وقد حكم عليه ان يقطع البحار للوصول الى بلاد ابن السماء فلم يملك نفسه عن لعن الزمان والاسف على حياته واين ملاهي برستا من رصاص الصينيين ومناخ توكان المحرق . فاستأذن قائده للتوجه الى نورمنديا كي يودع اهله وسار على جناح الشوق حتى حلّ في مسقط رأسه مقتبلاً بركة والده الشيخ وقبلات مادلين متبادلاً واياها ميثاق الولاء وقد اقسمت له بالبقاء على العهد حتى الممات

وعاد جوليو الى المعسكر صابراً على مضض البلوى والنار تلتهب في

احشائه . وسافر مع الحملة برفقة صديقه بولانجه موضع سره وسلوته الوحيدة

* * *

مضت سنة كاملة والحملة تتنقل من الهضاب الى الجبال ساهدة لا تذوق الوسن وكان يشعر المقاتلون بحلول التعب اكثر من الراحة على اجسادهم المضناة من طول السهر والجراح التي كان يزيدها الحر التهاباً . وكان جوليو من عداد هؤلاء المنكودي الحظ ضحية على مذبح الانسانية لمطامع الانسان يحمل وقر حياته مثقلاً من اشجان هيامه يقف امام رصاص الاعداء ثابتاً كأنه تعود امثاله من قبل حين كانت لحاظ مادلين تدمي فؤاده وتضرم احشاءه . فكان هادئاً ابان المعارك لا تثور به حمية الاقدام ليشرب من دم اخوانه في البشرية بل كان يدافع عن نفسه ما استطاع كأنه لا يريد الاطاعة في سبيل ابادة اخوانه بل يحافظ على ذاته ليعود يوماً الى مادلين ويقدم لها موضوع عهدها ومصدر آمالها

— عليك السلام ايها الشعاع السماوي الذي يخترق صدور البشر لينير عقولهم من نار قلوبهم

ودامت تحاريز مادلين تتوارد اليه بضعة اشهر ولكن ما لبث حتى قل عددها وطال ميعاد وصولها وها قد مضى عدة اسابيع ولم يتناول جوليو من اهله ولا من محبوبته كتاباً فازدادت اشجانه وتقطب وجهه وعبثاً حاول بولانجه ان يخفف حزنه بعبارات التسلية والعزاء لانه كان مشتت الافكار وفي قلبه دافع سري يحول بصيرته الى بلاده ليمثلها امامه برداء الفرح تدوي بكنيستها صلاة الاكليل وكلام الميثاق الذي يرتبط به العروسان . وهو بعيد في اطراف الصين في بلاد ابن السماء وبالتالي في اقطار الجحيم

ودام الحال على هذا المنوال حتى علم جوليو بورود رسالة له من بلاده وهو على اهبة الاقدام على الاعداء مع رفاقه فذهب لاحضار الرسالة كما تقدم وبات بولانجه يسير مع العسكر تابعاً اللواء الافرنسي الخافق في الهواء بمقدمة الجيش وهو يدير رأسه كل برهة لجهة الخيام وبعد برهة قصيرة عاد جوليو راكضاً وبيده الرسالة فاسرع بولانجه وسأله عن الاخبار فاجاب جوليو بحزن

— ليس الان وقت التأمل فعما قليل سيكتنفنا رصاص الاعداء . فض الختام لنرى

فتنهد جوليو وفتح الرسالة وجلس على حجر بينما كانت العساكر واقفة تنتظر علامة اصلاء النار ولكنها تراجعت الى الوراء برعب اذ شاهدت الصينيين على مقربة منهم ينادون بالويل وامامهم قائدهم تلمع على صدره شارات السيادة الذهبية

بين صراخ القتلى ودوي المدافع على ارض سقتها الدماء وظللها جناح الموت كان النورمندي يطالع اسطراً خطتها يد مرتجفة يد والد شيخ ينقل الى ولده حكم شقائه

ولدي العزيز

« ارسل لك كتابي وانا بصحة جيدة واؤمل ان تطالعه وانت على ما اشتهي لك من الراحة

لقد حدثت امور جديدة في وطنك لا بد لي من اطلاعك عليها حتى تقطع تحاريرك عن مادلين ضناً بشرفك وشرفها لانها لم تنتظر عودتك بل تزوجت بنسيبها تاجر الابتار

هذا ما اعلمك عنه يا ولدي فكن صبوراً ولا ... »

فلم يتمكن جوليو من اتمام القراءة اذ سقطت الرسالة من يده على الارض فلم ينطق ببنت شفة بل تهدجت انفاسه وكلل جبينه عرقٌ بارد وجحظت ابصاره نحو الفضاء كأنه يتأمل في منظر غريب لم يملك من النظر اليه

فترءآت له قريته الصغيرة في يوم صفا جوه واعتدل هواؤه وفي وسطها الكنيسة القديمة تظلها اشجار السنديان الباسقة باخضرارها القاتم وقد اخترقت اغصانها اشعة الشمس المتلألئة بالفضاء كقرص ذهبي. وكان على الطريق العام رهط من سكان القرية يتمشى على مهل نحو الكنيسة الذي كان جرسها يلوح بسرعة في الفضاء فيرن صوته في تلك الانحاء كمناد يدعو الى الحبور وامام الرهط المتلألئ بانواع الحلى والموشح بالاثواب الجميلة كانت ظبية تسير الهوينى مستندة على ذراع ابيها وقد كللها الجمال فاصبحت عروس الآمال وهي شقراء اللون محمرة الوجنتين وعيناها الزرقاوان تنظران الى الافق المشابهما لوناً وصفاء

وكان اصدقاء العائلة يسيرون وراء العروسة وهم يقولون

« ما اسعد جوليو لحصوله على من يهوى فقد استحق هذه السعادة لشجاعته واقدامه على المخاطر في معارك الصين وحصوله على رتبة ضابط ومدالية الانتصار »

ووصل الجمع الى باب المصلى فانفتح بغتة ليظهر امام جوليو متلألئاً بالانوار وسماع صوت الموسيقى الكنائيسية يخشع بايقاعها الحنون اصلب القلوب فدخلت العروس بقدم ثابتة الى الهيكل وتبعها القوم بهتاف الفرح وما لبث حتى سمع الكاهن يتلو صلاة الاكليل والعروس تقسم الامانة والاخلاص !!!

واغلق الباب بشدة فاقفرت الطريق وساد السكون

فامر جوليو يده على جبينه المحترق واصغى كأن هاتفاً يدعوه قائلاً

— ما بالك واقفاً هنا والعروس بانتظارك فنهض الجندي بحنق وتقدم بضع خطوات في القفر ولكن ما لبث حتى عاد اليه الهدى فسقط الى حضيض الحقيقة من شاهق افكاره وشاهد رفاقه على مقربة منه وقوفاً تجللهم رهبة الحرب والبنادق تنفث نار القضاء الى قلب الصفوف . فعرف حينئذٍ انه بعيد عن بلاد حسب نفسه بها موضوع السعادة وادرك ان هنالك فتاة ضحت فؤاده وسخرت بحبه وامانته . فوقف بعقله وبحسه وقد اصبح غريباً عن وطنه كغربته في بلاد الصين تحت رحمة السيف والنار فعرف ان حياته امست وقراً ثقيلاً عليه فحول ابصاره الى قلب المعمعة وقد اظلمها دخان البارود وقال

— هنالك يتلاشى القنوط والاسى هنالك تقف حركة فؤادي المعذب

واندفع بما ابقاه اليأس لجسده من القوة حاملاً حياة شقية الى حيث تضحى البشرية في سبيل المطامع

. . . . . .

خيم الظلام

في احدى غرف القلعة التي اكتسبها الافرنسيون كان جوليو منطرحاً على فراش من الهشيم بين بقية الجرحى وبولانجه جالساً قربه وكان هذا قد حمله على كاهله جريحاً من بين مدافع الاعداء حيث اندفع بجنون ليبيد حياته وكان بولانجه ينظر الى وجه رفيقه المصفر وقد علته دلائل الموت فيدير رأسه باسف ليخفي دموعه السائلة ببطء على عارضيه

ولما استفاق جوليو من غشيته التفت لصديقه الوحيد وقال له بصوت يتهدج لشدة الالم — تقدم لاودعك فانت وحدك بقيت لي امينا

— لا تقل هذا يا اخي فسوف تعود اليك الحياة

— كلا عن قريب سأموت لانني انا اردت مبارحة هذه الارض الشقية

— اواه لقد عرفت قصدك وا آسفاه حين اندفعت امام افواه المدافع . قل لي ما اتاك بالرسالة حتى اصبحت بهذه الحالة ؟ فاخذ الجريح الرسالة من جيبه وقد لوثها الدم وقال — اقرأ تعلم

فكفكف بولانجه دموعه واخذ الورقة وما انتهى الى آخرها حتى صاح

— اواه يا خائنة

— لا تلعنها يا صديقي بل كن مثلي رحيماً . أألومها اذ تزوجت بسواي وانا بعيد عنها لا تدري ان كنت اسلم من نار الصينيين ام اموت فداء الواجب كلاايها الصديق بل انني ادعو لها بكل توفيق واود ان تحيى سعيدة . اواه لو تعلم مادلين انها هي كانت سبب موتي ! ولكن لا اريد ان تعرف ذلك . عدني يا بولانجه ان تخفي عنها سبب مماتي وترفقني بصورتها معي الى اللحد

واذ صمت الباريسي والزفرات تهيج صدره تابع الجريح

— عدني بانك لا تكدر صفو حياتها كي ارقد بسلام

— لك ما تطلب اذا كانت هذه ارادتك ايها الشهيد

فتبسم الجريح وتنهد ضاماً الى صدره صورة من يهوى فقاضت روحه مع آخر تنهد دفعه اليأس واخمده القضاء

{انتهى}

حديث الانيس

ذكرنا في الجزء الماضي شيئاً عن لندن واهاليها وقد طالعنا بعد ذلك تقويماً آخر عن الذنوب التي ارتكبت فيها بالعام الماضي فاذا به يدل على نقص يذكر وكان اشد منه دلالة على التقدم انه مامن حادثة قتل جرت فيها الا وقبض على القاتل بخلاف اكثر السنين التي كان يهرب فيها البعض من وجه الشرطة وفي هذا دليل على الذي قلناه عن المهارة الفائقة التي تتصف بها شرطة تلك المدينة . اما حوادث القتل التي جرت فيها العام كله فقد كانت عشرين يقابلها اربع وعشرون في عام ١٩٠١ وقد قبض من القاتلين فيها على ١٦ والباقون انتحروا

اما عدد الجنايات وسائر الجرائم والذنوب فقد بلغت فيها ١١٢٢٠٥ بزيادة ٢٦٧١ عن العام الذي قبله وهي زيادة قد نسبت الى انتشار السكر بالخصوص وقد احصي مقدار الاموال التي سرقها اللصوص فكانت ١٥٨٩٩٢ جنيهاً اي نحو الثلث من العام الاسبق . وقد كان مما يذكر بالخصوص ان لندن اعتمدت لكشف الجنايات على طبع ابهام الجاني لتمييزه فنجحت بذلك اذ انها عرفت من الجانين ١٧٢٢ مقابل ٤٦٢ وتقول الشرطة ان الاعتماد على هذه الطريقة سيزيد في استثبات الجانين في العام الحاضر ٧٥ بالمئة

* * *

ذكرت صحائف البريد الاخير ان احد علماء فرنسا قد عرض على دار